

تفسير البحر المحيط

@ 11 @ فيما كتبناه في إذن في شرح التسهيل ، وإنما أردنا أن نذكر أن ما قاله

الزمخشري ليس هو الصحيح ، ولا قول الأكثرين . .

{ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً نَبَاتًا } ، قال ابن زيد : معناه من الجاهلين ، بأن وكزني إياه

تأتي على نفسه . وقال أبو عبيدة : من الناسين ، ونزع لقوله : { أَنْ تَضِلَّ } .

{ إِذْ دَعَاهُمْ } . وفي قراءة عبد الله ، وابن عباس : وأنا من الجاهلين ، ويظهر أنه تفسير

للضالين ، لا قراءة مروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم) . وقال الزمخشري : من الفاعلين

فعل أولي الجهل ، كما قال يوسف لإخوته : { إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ } أو المخلصين ، كمن

يقتل خطأ من غير تعمد للقتل ، أو الذاهبين عن تلك الصفة . انتهى . وقيل : من الضالين ،

يعني عن النبوة ، ولم يأتي عن الله فيه شيء ، فليس على فيما فعلته في تلك الحالة توبيخ

، ومن غريب ما شرح به أن معنى { وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } ، أي من المحبين ، وما

قتلت القبطي إلا غيرة . قيل : والضلال يطلق ويراد به المحبة ، كما في قوله : { إِذْ نَزَّلْنَا

لَاغِيًا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً قَدِيمًا } ، أي في محبتك القديمة . وجمع ضمير الخطاب في منكم وخفتكم

بأن كان قد أفرد في : تمناها وعبدت ، لأن الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ، وإنما منه

ومن ملته المذكورين قبل { أَنْ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً قَدِيمًا } ، فإرغابون ،

وهم كانوا قوماً يأتمرون لقتله . ألا ترى إلى قوله : { إِنَّ السَّمْعَانَ يَأْتِيكُمْ بِرُؤْيَاكُمْ

بِكَلِمَةٍ لِيَقْتُلَنَّكُمْ فَخَرُّوا سُجَّدًا } . وقرأ الجمهور : لما حرف وجوب لوجوب ، على قول سيبويه

، وظرفاً بمعنى حين ، على مذهب الفارسي . وقرأ حمزة في رواية : لما بكسر اللام وتخفيف

الميم ، أي يخوفكم . وقرأ عيسى : حكماً بضم الكاف ؛ والجمهور : بالإسكان . والحكم :

النبوة . { وَجَعَلْنَا مِنَ الْمُرْسَلِينَ } : درجة ثانية للنبوة ، قرب نبي ليس

برسول . وقيل : الحكم : العلم والفهم . .

{ وَتَلَاكَ نِعْمَةً تَمُنُّنَهَا عَلَيَّ } : وتلك إشارة إلى المصدر المفهوم من قوله

: { أَلَمْ نُرَبِّكَ فَيَذَا وَلِيدًا } ؛ وذكر بهذا آخراً على ما بدأ به فرعون في قوله

: { أَلَمْ نُرَبِّكَ * بِكَ } . والظاهر أن هذا الكلام إقرار من موسى عليه السلام

بالنعمة ، كأنه يقول : وتربيتك لي نعمة عليّ من حيث عبدت غيري وتركتني واتخذتني ولداً

، ولكن لا يدفع ذلك رسالتي . وإلى هذا التأويل ذهب السدّي والطبري . وقال قتادة : هذا

منه على جهة الإنكار عليه أن تكون نعمة ، كأنه يقول : أو يصح لك أن تعتد على نعمة ترك

قتلي من أجل أنك ظلمت بني إسرائيل وقتلتهم ؟ أي ليست بنعمة ، لأن الواجب كان أن لا

تقتلني ولا تقتلهم ولا تستعبدهم بالقتل والخدمة وغير ذلك . وقرأ الضحاك : وتلك نعمة
مألك أن تمنها ، وهذه قراءة تؤيد هذا التأويل ، وهذا التأويل فيه مخالفة لفرعون ونقص
كلامه كله . والقول الأول فيه إنصاف واعتراف . وقال الأخفش : والفراء : قبل الواو همزة
استفهام يراد به الإنكار ، وحذفت لدلالة المعنى عليها ، وردة النحاس بأنها لا تحذف ، لأنها
حرف يحدث معها معنى ، إلا إن كان في الكلام أم لا خلاف في ذلك إلا شيئاً ، قاله الفراء من
أنه يجوز حذفها مع أفعال الشك ، وحكى : ترى زيداً منطلقاً ، بمعنى : ألا ترى ؟ وكان
الأخفش الأصغر يقول : أخذه من ألفاظ العامة . وقال